

# زهدي أبي العلا

لـمؤلفـه نازـه محمد الحوفي

توطئة

بواعثه : العمى ، موت والديه ، الفقر ، البيئـة ، الثقافة ، الميل  
مظاهره : العزلة ، رأيه في الفطرة ، سخطه على الحياة ، العزوبة وكره  
النساء ، نباتي ، الجبر ، الخشونة والاكتئاب والقناعة .

الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله ، بلده المعرة ، وهي قرية صغيرة في  
شمال سورية بين حلب وحمص ، ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ فأدرك  
القرنين الرابع والخامس وهما أغنى تصور الأدب والعلم وأحفظها بالثقافة  
المنوعة .

تتلذذ في المعرة لآميه وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى حلب بطالب العلم ،  
وكانت تشرق بالعلماء والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم اليها سيف الدولة ، ثم  
سافر إلى أنطاكية وانتفع بفنائس كتبهـا ، ثم ارتحل إلى طرابلس ، ومر  
باللاذقية فنزل في دير فيها ، وتأثر براهب متفلسف هناك وأخذ عنه كثيرا  
من الآراء ، وبعد ذلك شخص إلى بغداد عش العلوم والآداب ، ووعى ماشاء  
من مكائدها ، وشارك في نواديها العلمية والآدبية ، وأعجب به علماءها  
وأعجب بهم ، وقضى هنالك سنتين لم تمنح السنون من نفسه ذكرياتهما ، وكان  
لها أثر في نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد إلى المعرة ولزم منزله وانقطع  
للتفكير والتأليف إلى أن مات .

## بواعث زهده

(١)

فجع أبو العلاء في بصره طفلاً، فشب في عالم حالك الظلمة، لا يميز مليحه من دميحه، ولا قبيحه من وسيمه، يتحسس في وجهه ندوب الجدرى، ويحس قصوره عن الناس، فهم مبصرون وهو كفيف، يسمعهم يتحدثون عن الأرض والسماء، ويقرأ الآداب افتنانهم في وصف الطبيعة والجمال فتأخذه من ذلك حسرة، وليس في الحياة آلم من فقد البصر، على أنه كان حساساً وشاعراً يحسم خياله بلواه، ويمضه التفكير في نصيبه التمس من الحياة

(٢)

ثم حرمه الموت عطف أبيه في الرابعة عشرة، وفقد الأب نكبة على من هم في سن أبي العلاء، ونكبة مضاعفة على ذى العاهة، فقد كان أحوج إلى أبيه يعتمد عليه، ويستند إليه، ويعتز به، ويتناسى في مجبوحة عطفه آلام عمه، ثم يستنير بتوجيهه العلى والادبى، فإننا نعرف أن أباه كان أستاذه الأول.

لهذا حزن عليه حزناً ملك قلبه، فقال يرثيه :

فليت فى إن شام سنى تبسمى فم الطعنة النجلاء تدمى بلا سن

(٣)

وبعد سنوات من موت أبيه فجع في أمه، فغطمت مصيبتها، وفقد ينبوع العطف والحب الذى طالما نعم به، ووثق بصفااته وخلوصه له فيرثيه هذه المصيبة وهذته؛ وزادته شعوراً بضعفه ونقصه على الحياة والاحياء.

حزن على أمه جياته، فقال في رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر  
وقال في رسالة إلى خاله ينماها له : فله الحمد عزوجا به الدمع مستكاه  
من الوجد السمع ، فأصحب حمده الله بدمعه ، وهذا الحمد قد أنقله الحزن  
على سمعه .

(٤)

وكان فقيرا ، يقل عليه وقف لأهله ثلاثين دينارا كل سنة ، يعطى خادمه  
نصفها وله نصفها الباقي ، لكنه كان يستطيع أن يثرى لو أنه سلك منادح  
الثروة ، وهو من أسرة علم وفضل ورياسة ووجاهة في المعرة ، لها نسب  
عريق في القضاء ، ومنها من ولي المعرة ، غير أنه كان حيا أيا عظيم النفس  
لا يتكسب بالمدح ، ولا يقبل العطاء وكان إلى ذلك محسنا سخيا فإن الشاعر  
الفارسي ناصر خسرو زار المعرة قبل موت المعري بعشر سنوات تقريبا  
وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه في بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ،  
ولكنه يعيش متقشفا زاهدا ، وفي شعره ونثره أدلة على أنه كان يهدى  
إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو في الخمسين من عمره يعتذر لفقته عن صغر هدية  
فياليتني أهديت خمسين حبة مضت لي فيها صحتي وشبابي  
وقلت له : فترك ثلاثين أسودا متى ما تكشف تالف غير لبياب  
لعل الذي أنفدت يكفيك ليلة لإسباغ طاهر حان أو لشراب

٥

هذا إلى إفساد الحياة في عصره ، وهو ذكي يدرس ويستقصي ، حساس  
يرى ويرثى ، درس طبائع الناس فأحسن درسها ، وبلائفهم فاجاد بلاها  
فلم ينتج له الدرس إلا شرا .  
الدويلات الإسلامية تتجارب ، والمسلمون والروم يتبادلون النهي

والهزيمة! والحكام يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس، والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ويستفون قوتهم وجهودهم.

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

...

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسه فاق من الحياة وأف منى ومن زمن رياسته خسارة

(٥٥)

إن العراق وإن الشام منذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان من ليس يحفل بخص النلس كلمهم إن بات يشرب خرا وهو مبطان والقضاة يحكمون بالجور، وكان الاخرى بهم أن يحكموا بالقسطاس ويدفعوا البلاء عن المستضعفين :

وأى امرى في الناس ألقى قاضياً فلم يعض أحكاما كحكم سدوم ورجال الدين قد اتخذوا الدين حرفة، واصطنعوه وسيلة إلى الكذب والكسب، ولا أزله في نفوسهم، فالواعظ ينهى عن الراح صباحا ويعاقرها مساء :

رويدك قد غرت وأنت بحر بصاحب حيلة يعظ النساء يحرم فيكم الصبيها صبحا ويشربها على عمد مساء يقول لقد غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء والخطيب الواعظ يخوف الناس يوم القيامة وهول الحساب، وهو ينكر في نفسه القيامة والحساب :

طلب الحسائس وارتقى في منبر يصف الحساب لامة ليهولها  
وينكون غير مصدق بقيامة أمسى يمثل في النفوس ذهولها  
والفقهاء انصرفوا عن أسرار الشريعة ولبابها إلى مماحكات لفظية  
لا طائل وراءها :

وقالوا فقيه والفقيه موه وحلف جدال والكلام كلوم  
وحتى الزهاد كاذبون في تزهدهم

لعمرك ما في عالم الارض زاهد يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع  
وأخلاق الناس جميعهم منحلة ، يفعلون القبيح والمنكر ويحيون على الخداع  
والغش والمكر والقسوة كما سيجي ، ولذلك ذمهم كلهم بقوله :  
وجوهكم كلف وأفواهكم عدا وأكبادكم سود وأعينكم زرق  
وعما يستدعي التأمل انه حمل على الادباء وحملهم وزر هذا الفساد ،  
وهم في رأيه الدعاة إليه :

وما أدب الاقوام في كل بلدة إلى المين إلا معشر أدباء

« ٥ »

أما شعرت بانها لا تقتنى خيرا وأن شرارها شعراؤها  
أثرت أحاديث الكرام بزعمها فاجاد حبس أكفها إثرائها

« ٥ »

بني الآداب غرتكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب  
وما شعراؤكم إلا ذئاب تلصص في المدائح والسباب

(٦)

ثم هو على ذلك كله قرأ من كتب الفلاسفة ما وافق هواه ، فاشتد  
بغضه للدنيا ، وسوء ظنه بالناس ، حتى إنه لما تحدث بحفاوة أهل بغداد

بوداعه وحزنهم لفراقه وعرضهم عليه المال شك فيما فعلوا أكان رياء أو وفاء، ونحن نعلم أنه درس الفلسفة اليونانية في أنطاكية واللاذقية ثم ألم بها في بغداد ثم درس الهندية في بغداد أيضا، وبغداد بعد فتح السند كانت تترى من هذه الفلسفة يحملها اليها المترددون هنا وهناك للتجارة أو السياحة ويفجر جداولها أولئك الذين ترجعوا عن الهندية منذ عهد المنصور، وهي تشتهر بالزهادة وازدراء الحياة وتعذيب الجسد لتنقية الروح والشفقة على الحيوان وتقديسه في بعض الأخيان.

ووقف على الفلسفة الفارسية، وقد ثقفا العرب منذ خالطوا أهل فارس وترجموا عنهم، وقد قرأ شاعرنا ما ترجم عنهم في السياسة والفلك والأخلاق والقصص، فلما شخض إلى بغداد مازج بعض الفرس وتأثر بهم، فليس عجيبا أن نجد الفاظا فارسية في شعره كقوله :

إذا قيل لك الله مولاك فقل (آرا)

أى نعم.

على أنه بعد هذا كله عالم فاحص دارس، اطلع على الأدبان كلها فدرس الاسلام والنصرانية واليهودية، وعرض لبعض قضاياها في لزومياته.

(٧)

لكننا نجد في الحياة عميا فقراء مشوهين، وهم مع هذا كله مبهيجون بحياتهم ينالون من لذاتها، وينهلون من متعها، فلم لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم؟ ولم سخط الحياة هذا السخط؟ الحق إن ذلك يرجع أيضا إلى مزاجه الخاس الذي يألف الحزن ويأنس به ويركن إليه، وتسنع له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا، ويرى العالم كله رزايا وأشرارا.

فقد كان يشار أعمى وامكنه جنج إلى المجانة والخلاعة، واستمتع بالحياة ماشاء أن يستمتع.

وكان شوبنهاور فيلسوف التشاؤم في العصر الحديث بصيرا ، صحيح الجسد ، ثريا ثراء واسعا ، لكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كأنبي العلاء ، « فالعالم شر كله ، فأينما توجهت الفيت عرا كما وقتالا ومنافسة ، وليس الإنسان إلا ذنبا للأنسان ، وهو تعمس إذا تزوج وتعمس إن لم يتزوج وخير للعالم أن ينقطع النسل وتنتهي الحياة » والحياة في نظره « جحيم يفوق جحيم دانتي » .

ولقد تشابه الرجلان في العزوبة ، وسوء الرأي في الناس ، والبرم بالوجود والتجنى على المرأة .

واتفقا في أن التشاؤم تابع من نفسيهما وإن كانا متأثرين بعوامل أخرى خارجه عن قدرتهما لتشابه قليلا أو كثيرا ، فقد انتحروا والدشوبنهاور واعرج سلوك أمه ، ولم يجد ما يزعج به فراغه غير النظر والتأليف ، فلم يتزوج ولم يلد ، ولم يزاول عملا يلهمه عن مآسيه ، فضجر بالحياة وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يؤرث نار السخط في نفوس الساخطين فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية بعد زلزلة الأرض بحروب نابليون طبقت خيام التشاؤم على أوروبا ، فأن موسيه في فرنسا وبيرون في إنجلترا وشوبنهاور وهينى في ألمانيا ، ولما فسدت الحياة الاجتماعية والسياسية في عهد أبي العلاء رجع في جوها الخائق نغمه الحزين

### مظاهر هذا الزهد

( ١ )

كان لزهد مظاهر أخذ نفسه بها وتشدد في ذلك ، فاعتزل الناس عن روية وعقيدة ، وقد اعترم اعتزالهم بعد أن استشار أصدقاءه ببعثاد قبيل

رحيله منها ، يدلنا على ذلك رسالة كتبها إلى أهل المعرة ينههم عن الحفاوة  
بقدمه ويخبرهم بعزمه على العزلة .

لكنه لم يستطع تحقيق ما اعتزم ، فالمعجبون به من الخلان والطلاب  
يطيرون إليه وهو لا يردم عن مجلسه حياء منه ، على أنه عالم يستطع أن يحبس  
نفسه كما انتوى ، ولم يلبث أن اشتغل بالتعليم ، ومهما يكن من شيء فقد  
كان لا يخالف الناس هذا الخلط الذي نعرفه ونألفه .

أما سبب ذلك فسوء رأيه فيهم ، فهم بنافقون ويخادعون ، بدون  
الطيبة والنبالة والطهارة ولو اطلعت على ما في قلوبهم لوليت منهم فرارا  
والمثت منهم زعجا

يلفك بالماء النير القتي وفي ضمير النفس نار تقد  
مطبك لفظا لنا مسه ومثل حد السيف ما يمتقد

« »

يروك مظهرهم ويسوء مخبرهم ، وأكرمهم خلقا عبد لمنفته ، وأشرف  
من أشرفهم صلدا جلود لا تعتدى ولا تفتري  
يحسن مرأى لبني آدم وكلهم في الذوق لا يعذب  
ما فيهم برولا ناسك إلا إلى نفع له يجذب  
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب  
البعد عنهم نجاة من أمراضهم ، ومخالطتهم تقصد العقل لأنهم يخلفون في  
الفهم ، وتلبس الدين بالخرافة

بعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم للجحا والدين أدوا

« »

والخير في تجنبهم لتأمن شرهم ومقتهم ونكرانهم الجليل .

وجانب الناس تأمن سوء فعلهم وأن تكون لدى الجلاس بمقوتا  
لا بد من أن يذموا كل من صحبوا ولو أراهم حتى المعزاء ياقوتا  
واللييب الحازم من لا يكشف لهم عن سر عقيدته

لا تخبرن بكنه دينك معشرا شطرا وإن تفعل فانت مغرر  
واصمت فإن الصمت يكفى أهله والنطق يظهر كامننا ويقرر  
ولا خير في العالم كله ، وشر ما فيه ناسه

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها  
والشر في العالم حتى التي مكسبها من فضل عرناسها (١)  
وكل حتى فوقها عالم وما بها أظلم من ناسها

(٢)

لم نقم أبو العلاء من الناس وباعد ما بينهم وبينه ؟  
أكان السبب سوء خلقهم فحسب ؟ أحسب أن المجتمع الطويل العريض  
في الشام والعراق لم يخل من أفراد قلة لهم خلق ودين فيرضى عنهم أبو العلاء  
فلا بد أن يكون هناك سبب آخر اضيقه بهم ، وإنما يتصل هذا السبب برأيه  
في أصل الفطرة الإنسانية .  
الرأى في الفطرة الإنسانية قضية مشككة لها تاريخ ، فما نزعات الفطرة  
الأصلية الخير أم الشر ؟

أما سقراط فقد ذهب إلى خيريتها ، فنفس الطفل كالصفحة البيضاء مستعدة  
لأن تتأثر بالخير والشر ، وأما فلوطاين الفيلسوف المصري فرأى أن الفطرة  
شر ، لأن النفس جوهر مستقل مجرد هيبت من العالم العلوى إلى العالم المادى  
فاضطربت بالشر ، ويمكن التسمي بها بقصفتها من اوضاع المادة وحرمان الجسم

من لذاته، وتجريده من زخارف الحياة، وأخذ بالصوم، واعتزال الناس،  
وعندئذ تهيأ النفس للاتصال بالعالم العلوي والانس بمبدعها.

ثم كانت لهذه الفكرة دولة وصول في القرن الثامن عشر، فقد اعتنقها  
وغلافيها اليسوعيون والبنسيون حملة ألوية التعليم، فقد ألفوا الكتب  
وشادوا المدارس ومنوا نظم التعليم متأثرين بأن الفطرة شر، وصلاحيها  
بالمقاصد الصارم والثواب المغري ثم شاء الله أن يزلزل روسو دعائمهم بذلاقة  
أسانه، وخلابة بيانه، فوصلت دعوته إلى أعماق النفوس العاقلة وكثر  
مؤيديه، وكتب لرأيه النصر.

لكن كانت جاء بعد روسو فأثبت أن الطفل منذ يولد إلى أن يبلغ سنا  
مميته خال من الميل إلى الخير والشر لأنه لا يفكر فيما يقول أو يعمل  
على أن دستورنا الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه يقرر أن الطفل يولد مستعدا للخير والشر « ما لم نجعل له عينين  
ولسانا وشفيتين وهدية التجدين » « ونفس وماسواها فألهمها فجورها  
وتقواها »

فمع أية وجهة من هذه أبو العلاء ؟

لقد نحال أنه يصح ذهابه إلى أي مذهب إلا إلى خيرية الفطرة وهو من  
علينا سخطا وتشاوما وذا للناس وطباعهم، فالإنسان في رأيه شرير بطبعه  
ومن العسير إصلاحه وكان هذه الفكرة يرددها في شعره ونثره، وكلف  
بها يطبقها على حياته ومعاملاته، فزهد واعتزل وأعزب، وقد أفتن في ذم  
الإنسان وإن كان لم يرى نفسه من اللؤم والهوان :

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها فإنهم عند سوء الطبع أسوأ  
أو كان كل بني حوام يشبهني فبئس ما ولدت للناس حواء

وفائدة النوم الخروج بأهله عن عالم هو بالأذى مجبول

(٠٠)

ولم يكن الناس يوما صلاحا ففسدوا أو أتقيا ففجروا، انما هم من طينة الشر خلقوا.

وهكذا كان أهل الأرض منذ فطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

وفي محاورته للغراب، يذم الإنسان بالجور ونكران الجليل

جريا غراب وأفسد لن ترى أحدا إلا مسينا وأى الخلق لم يجر

نخذ من الزرع ما يكفيك عن عرض وخالو الرزق في العالى من الشجر

لو كنت حافظ أثمار لهم ينعت ثم اقتربت لما أدخلوك من حجر

(٣)

تسخط أبو العلاء حياته وتبرم بوجوده، وكان للدنيا قاليا، لم يزل

يسبها ويقرعها باللوم حتى صار أ كثر الشعراء لها ذما، لذلك تمنى للوليد ألا

يولد وللحن أن يفنى :

فليت وليدا مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

بل لقد كان الخلق بهذا العالم ألا يوجد.

خير لآدم والخلق الذى خلقوا من ظهره أن يكونوا قبل ما خلقوا

والدنيا حقيرة لانستحق هذا التكالب

أصاح هى الدنيا تشابه ميتة ونحن حوالها الكلاب النوايح

فن ظل منها آكلا فهو خاسر ومن راح عنها ساغبا فهو راح

(٠٠)

لا تلبس الدنيا فإن لباسها سقم وعرج الجسم من أنوائها

ولتفعل النفس الجليل لأنه خير وأحسن لا لاجل ثوابها

أغنى الأنام تقى فى ذرا جبل يرضى القليل ويأبى الوشى والتاجا  
وأفقر الناس فى دنياهم ملك يضجى إلى اللجب الجرار محتاجا  
ولهذا رأى أن نبت هذه الحياة باعرضنا عن النسل فوجناية على ابناتنا  
البراء لأنه يلقيهم فى عالم مسجور بالشرور ، وقد أوصى أن يكتب على قبره  
هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

(٤)

فهو لم يتزوج ، وينصح بالإعراض عن الزواج ، ولكن ماذا يفعل  
الرجل الصحيح الجسد إذا ألحت عليه الغريزة ؟  
ايخرج إنما أم يتزوج ؟ يجب أبو العلاء بأن له أن يتزوج وعليه ألا  
ينسل ، وأى عاقل يبيع نفسه للإنسال للشقاء ثم لا فناء ؟  
تصحتك لا تنكح فإن خفت ما ثمما فاعرس ولا تنسل فذلك أحزم  
وكل امرئ تجرع فى هذه الحياة كثوسا مرة ، واصطلى بلهيب الشدائد  
مرة بعد مرة ، فن العدل ألا ينسل فينتقم من الأبرياء والمستورين وراء  
حجب الغيب

والفاك فيها والداك فلا تضع بها ولدا يلقي الشدائد والنكرا  
هذه وجهة ، وثمة وجهة أخرى فالذرة تشقى  
صحبك فاستفدت من ولدا أصابك من أذاك بالسيات  
ومن رزق البنين فقير ناه بذلك عن نوائب مسقات  
فن نكل بهاب ومن عقوق وأرزاء يحزن مصمات  
وإن تعط البنات فائى بؤس تبين فى وجوه مقسمات  
يردن بمولة ويردن حليا ويلقن الخطوب ملومات  
وهو على تحرجه من النسل رحمة بالأبناء ، وخشية من مشقاتهم كان سى  
بالمرأة . بشك فى حصانتها ووفائها لزوجها :

وما تمنع الخود الحصان حصونها ولو أن أبراج السماء حصونها

\*\*\*

لا تدنون من النساء فان غب الأرى من  
وكرهته للنساء جعلته يؤثر موتهن ويعتده نعمة  
ودفن القانيات لمن أولى من الكلل المنيع والحدور  
ويفضل حياة الرهبان  
ويعجبني عيش الذين ترهبوا سوى أكلهم كد النفوس الشحاح

(٥)

كان رقيق القلب رحيم . يرى أن ذبح الحيوان قسوة وعدوان ، وفيه  
يتم الولد أو ثكل الوالدة ، ولعله تأثر بمذهب البراهمة الذين يحرمون  
الحيوان وتناجه

ولهذا المذهب النباقي في عصرنا أنصار لهم حججهم ، ولخصومهم ردود  
وحجج ، ومن المناسب أن نلم ببعض ما يتذرع به النباتيون في إعجال ، هم  
يرون أن أمعاء الانسان طوال ولكن أمعاء أكلة اللحوم قصار . فلا يطول  
مكث اللحم بها فيتعفن ويضر ، وأن في النبات العناصر الغذائية كلها ، وإن  
الاقتصار عليه ينجم من أمراض قد ينقلها الحيوان ، وأن ذبح الحيوان  
قسوة وعدوان ، وحرمانه نتاجه ظلم وجشع ، ثم أن النبات أرخص  
من اللحم .

اعتنق أبو العلاء هذا المذهب خمسا وأربعين سنة عن دقيقة ، ودعا غيره  
مرارا في شعره إلى متابعتها ، فنهى عن أكل السمك واللحم والبيض والطيور  
وعسل النحل لأن ذبح الحيوان تعذيب ، واعتصاب نتاجه ظلم :  
فلا تأكلن ما أخرج البحر ظلما ولا تبغ قوتامن غريص (١) الذبائح

(١) طرى

(٢)

ولا بيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغواني الصرائح<sup>(١)</sup>  
ولا تفجعن الطير وهي غرافل بما وضعت فالظلم شر القبانح  
ودع ضرب<sup>(٢)</sup> النحل الذي بكرت له كواصب من أزهار نبت فوائح  
فما أحرزته كي يكون لغيرها ولا جمعتة للندى والمنائح<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لاأجفع الأم بالرضيع ولا أشرك هذا القرير<sup>(٤)</sup> في اللبن  
عاش نباتيا يمنع نفسه اللحم، ولا يشرب اللبن ولا يذوق الجبن ولم  
مرض مرضه الاخير أشار الطبيب أن يطعم فروجا ليتقوى به فلما قدم إليه  
أمسكه وقال : استضعفوك فأهانوك ، هلا قدموا شبل الأسد  
لكن المعرى لم يحرم الحيوان ونتاجه تحريما ، وكيف وهو يعلم أن الله  
أحله ؟ ويعلم أن الحيوان يتكاثر مطردا فلو خلى وسيب لصاقت به الارض  
بما رحبت ولنفتد الاقوات ؟ إنما استبشع ذبحه والسطو على ثمراته ، ورحمه  
ورأف به ، وعسى أن يكون قد أراد بذلك حسن المثوبة ، ودليلنا على أن  
الباعث الرأفة وحدها قوله :

تسريح كني برغوئا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا  
وسئل عن تحريمه الحيوان وقد أحله الله فقال إنه تركه زهدا ورحمة .  
ورد على من ادعى أن ترك اللحم ذميم بقوله : ه ولو أخذ بهذا المذهب  
لوجب على الإنسان ألا يصلي صلاة إلا ما اقترض عليه لأن ما زاد على ذلك  
أداه إلى كلفة والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك ولوجب أن الذي له مال كثير  
إذا أخرج عن الذهب ربع العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك ...  
فهو يعرف أن الله تعالى أحله وأباحه ولكنه يتوقى عواقب الذبح  
واغتصاب النتاج .

(١) الحسان (٢) العمل الأبيض الغليظ (٣) المعايير (٤) ولد البقرة ولانمجة والماعز

وله دفاع ثرى عن رأيه هذا كنت أريد أن أثبتة هاهنا لولا الإطالة  
وبعد فقد لقيه رجل فسأله: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان قال  
فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فكان كذلك خالق فما  
أنت بأرأف منه، وإن كانت الطباع هي المحدثه لذلك فما أنت بأحقق منها؟  
فسكت

٦

كان لابد لهذا الشاعر الفيلسوف المرزوء المتبرم أن يدين بالجبر، ولعله  
سأمل نفسه لم هذه الفوضى الضاربة في أعماق المجتمع؟ ولم هذا التباين بين  
أفراده وطبقاته؟ وهل تخير الأتقياء في حياتهم الشقاوة؟ ثم هل آثر هو  
لنفسه البلوى والعمى والفقر والقبح وفقدان النصير؟  
أما لو بود له نعم بنور عينيه أو سعد بثروة واسعة واختال في برد الجبال  
ولسكان ظميرا ونصيرا لكل ضعيف وفقير، ولكن هكذا اختير له وهكذا  
وجد نفسه، ولا حول له ولا طول في تغيير الواقع وإن جهد، فإبال أناس  
يجهلون الحق ويحددون الواقع فينكرون أنا مسيرون؟  
آمن بالجبر ونص في مقدمة اللزوميات أنه يجبر على نظم هذا الديوان وأنه  
الفه بتأثير قوة لا يعرف حقيقتها وكرر الجبر في مواضع شتى، واحتج له،  
وعزا إليه كل عمل فنحن نستهل على الدنيا بغير اختيار ونفارقها على اضطرار  
المرء يقدم دنياه على خطر بالكره منه وبنأ هاعلى سخط

\*\*\*

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى ولا حياتى فهل لى بعد تخيير

\*\*\*

خرجت إلى ذى الدار كرها ورحلتى إلى غيرها بالرغم والله شاهد

فهل انا فيما بين ذينك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد

٧

(١) وهذا النظام القاسى الذى التزمه أبو العلاء حمله على الشظف من العيش والحشن من الحياة فقتع بما نالت يدها

قتعت نخلت أن النجم دونى وسيان التقنع والجهاد لم يجالس الناس على مائدة ولم يره الناس يأكل لأنه كان إذا أراد الطعام آوى إلى نفق له فياً كل فيه . وكان طعامه العدس وحلواه التين

يقنعنى بلسن يمارس لى فان أتنى حللوة فبلس (٢) وكان يلبس ثياب قطن غلاظ ، ويفترش اللبد فى الشتاء وحصر البردى فى الصيف

(٣) وجانب الخمر وحرما عقلا ودينا وصحة وألف فى ذمها كتابا سماه (حماسة الراح)

يابدوى اتق المدامة إن السخمر باتت كثيرة الابن آليت ما سمحت أخا بخل يوما ولا شجعت أخا جبن (٤) وقضى حياته متزمتا مكتئبا يرى أن الضحك جنون

وضحكنا وكان الضحك مناسفاة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك

«٥»

فأفرق من الضحك واحذر أن تحالفه أما ترى الغيم لما استضحك انتحبا

اصمد محمد الحورفى

المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية